وإذا لم يبق مستحق من نسل الواقف فأهل السنة فيها سواء أبدا ما يقبت لعن الله من يتملكها أو يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتمها على من يستحقها أو يغيرها من لاينتفع بها اذا سئل بسرط الحفاظ ، كتبه أحمد بن محمد تقبّل الله منه • كتب بتاريخ ٥٨٤) • فهذا أقدم نص في وقف الكتب وسنجد العلماء بعد البريهي قد حرصوا على وقف كتبهم • وكان الفقيه محمد بن مضمون بن عمران المتوفى سنة ٦٣٣ يقتفي أثر شيخه البريهي في وقف كتبه ويكتب على كل كتاب منها هذه الابيات :

وقفٌ حرامٌ وحبس دائمٌ الأبدِ ... بقاء رجا ثواب الواحدِ الصمدِ
على الحنابلةِ المشهور مذهبهم ... من آل بيت أبي عمران ذي الرشد
ثم الحنابل طرّاً بعد أن عدموا ... سيّان غائبهم أو حاضر البلد
لا حظّ فيه لبدعي يخالفني ... أو كان معتقداً ما ليس معتقدي •• الخ

أما الفقيه أحمد بن محمد الشاوري المتوفى سنة ٨٣١ فإنه أوقف كتبه على أولاده وأحفاده وشرط أن كل من ترك الصلاة منهم لا حظّ له في الوقف • وهكذا تتعدد صيغ الوقفيات والقصد منها حفظ الكتب بعد موت أصحابها وكانت هذه الوقفيات والنمليكات عليها مستندا رئيسيا للمؤرخ الجندي في معرفة أسماء العلماء وأماكن وجودهم فلا يسأل على شيء اذا وصل الى قرية أو مدينة الا على بقايا تلك الكتب وتصفحها •

وما دمنا بصدد الحديث عن الكتب فلا بد أن نقف عند المكتبات في ذلك العصر فهي الزاد الرئيسي لطلاب العلم ••

وفي زمن قلة الكتب تكون هذه المكتبات هامة إذ ليس باستطاعة كل الناس الحصول على الكتب إلاّ بمشقة كبيرة من نساخه وأثمان باهظة وقد عرف كثير من العلماء بقلة الكتب لتلك الصعوبات حتى إن بعضهم آثر الهجرة من قريته ليكون في مدينة تضم مكتبة عامة كالفقيه مقبل بن خلف الهمداني المتوفى سنة